

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ وَيَشْرِحْ صَدْرَهُ وَإِلَّا سَلِمِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ وَيَجْعَلَ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ

إرادة الله عز وجل - يوم الحشر

(006) سورة الأنعام

اللقاء السابع عشر من تفسير سورة الأنعام - شرح الآيات 125 - 130

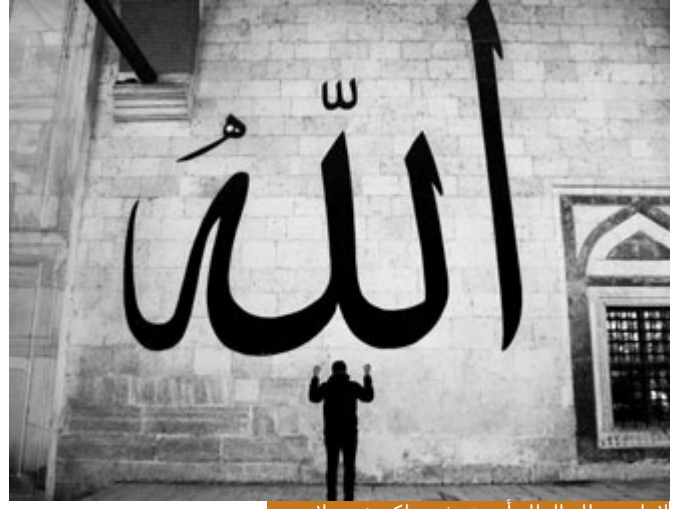
2023-11-04

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علّمنا، وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين، وبعد:
هذا هو اللقاء السابع عشر من لقاءات سورة الأنعام ومع الآية (125) وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ۖ وَيَشْرِحْ صَدْرَهُ ۖ وَإِلَّا سَلِمِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ ۖ وَيَجْعَلَ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ
الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)

الحقيقة أن هذه الآية الكريمة قد بُشِئِلَ فهمها على غير طلاب العلم وأما على طلاب العلم فهي واضحة، ربنا -جلّ جلاله- له إرادة وإرادته تنقسم إلى قسمين؛ من صفاته أنه مُريد -جلّ جلاله- وإرادته تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

1-وأما الإرادة الشرعية: فهي ما يريدُه ويحبُه ويرضاه كإيمان المؤمن وإحسان المحسن هذه إرادة شرعية.



لا يليق بملك الملك أن يقع في ملكه شيء لا يريد

2-وله **إرادة كونية**: هذه لا ترتبط بالضرورة بما يحبه أو يرضاه، فكفر الكافر يقع بإرادة الله لكن بإرادته الكونية وليس بإرادته الشرعية؛ لأنه لا يليق بملك الملك -جلّ جلاله- أن يقع في ملكه شيء لا يريد، قد يقع في ملكه بإرادته شيء لا يرضاه أو لا يحبه لكنه يريد أن يقع، ربنا -جلّ جلاله- يريد أن يقع الشر أحياناً؛ الشر النسبي الذي يوظفه الخالق للخير المطلق، ما يحدث اليوم على أرض غرة يحدث بإرادة الله، المشافي التي تُقصف تُقصف بإرادة الله لكن ليس بأمره ولا برضاه، هو لا يرضى عن ذلك -جلّ جلاله- ولا يأمر به لكنه يريد؛ بمعنى أنه يسمح لأعدائه المتكبرين المتغطرسين أن يُغرغوا حقدهم وغلهم، وأن يفعلوا ما يبدو للناس أنهم يفعلون ما يشاءون، وفي الوقت نفسه يتخذ من عباده المؤمنين شهداء يرفعههم إلى منازل عالية يكفر عنهم خطيئاتهم ويرفع درجاتهم، فكل ما يحدث في الكون يحدث بإرادة الله، ولا يليق في ملك الملك أن يقع في ملكه شيء لا يريد **(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)** فهذا أراد الله تعالى الهداية بشخص فشرح صدره؛ بمعنى أنه وسّع صدره لقبول الحق، يوسع صدره لقبول الحق، يزين الحق له، يهيئه لقبول الحق، وبعد حين يجعل قلبه متعلقاً بالحق، كان بعض العارفين يقول: "يا رب، نخشى ألا تثبتنا على طاعتنا لأننا نفعل ما نهوى أنفسنا" أي هو يقوم إلى الصلاة لشيء يحبه حاله "أرحنا بها يا بلال" فمن شدة ما شرح الله صدره للحق والخير أصبح يفعله حباً وكرامة لا تكليفاً، فأصبح يخشى على نفسه ألا يتأب عليه لأنه يفعل شيئاً يحبه، ومن هنا جاء في الحديث:

{ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به }

(أخرجه ابن أبي عاصم، والخطيب، والبيهقي باختلاف يسير عن عبد الله بن عمرو)

أي الإيمان الكامل المطلق، **(حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)** يحب الخير، يحب الحق، يحب أهل الحق، فهذا منشرح الصدر أيضاً، فالله تعالى يهدي عباده، بدايةً يهدي كل عباده، كل العباد هداهم الله؛ بمعنى أنه دلهم على الطريق، الهداية بمعنى الدلالة هذه حصلت لجميع الخلق، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (12)

(سورة الليل)



كَمَلِ اللَّهُ تَعَالَىٰ هِدَايَةَ خَلْقِهِ

تَكَمَّلِ اللَّهُ هِدَايَةَ خَلْقِهِ، الآن الذين استجابوا هداية التوفيق وهي المعنية في هذه الآية **(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)** لماذا شرح صدر هذا الإسلام وجعل صدر هذا صيقاً حرجاً، انتقاء؟ معاذ الله، حاشا لله تعالى أن ينتقي من عباده صنفاً يهديهم هكذا، وصنفاً يضلهم هكذا ثم يدخل المهتدين الجنة والصالين النار، وعندها- والعياد بالله- تكون للناس حجة على الله، يقول: "يا رب، هديتهم ولم تهديني"، لا، يهدي من أراد الهداية ويضل من أراد الضلالة، فالهداية منه والإضلال منه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ زَادَتْهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17)

(سورة محمد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اِبْقُوا لِقَوْمِي لِمَ تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أُنَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْمُفْسِقِينَ (5)

(سورة الصف)

(فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ) يهينه لقبول الحق ثم يحبب الحق إليه ويزينه في داخله، فتجده منقاداً للحق، يحب الحق وأهل الحق، ومن يرد أن يضلّه لأنه أراد الضلالة وسعى إليها، فأراد الله له الضلالة ولم يأمره بالضلالة ولم يرصّ له الضلالة، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَيْثٌ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ لُكْفَرٌ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)

(سورة الزمر)



قانون الجاذبية يجذب الأشياء إلى الأسفل

فهو لا يرضى لعباده الكفر والضلال، ولكنه يريد لمن أراد الضلال فيريد الله له الضلال (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُصِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَبِيحًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) الصدر صيق بمعنى أنه لم يعد في داخله متسع للهدى والخير، صدره بحجم صدر الآخر، الصدر كناية عن داخل الإنسان لا يختلف بين إنسان وآخر، كيف يضيق الصدر؟ أنت تتزوج، في بداية زواجك تأخذ بيتاً من غرفتين، تقول: بكفيني أنا وزوجي، أتيتك ولد صغير، تقول: البيت جيد، ولدان ثلاثة، تقول: ضاق البيت بي، البيت ما عاد يتسع لوجود أشخاص جدد في داخله، فعندما يمتلئ قلب هذا الإنسان بالضلال فيصبح صدره ضيقاً لا يقبل الحق، ويصبح حرجاً والحرج أعلى من الضيق؛ حرج عليه كذا أي ضيقه عليه وربما منعه منه، (صَبِيحًا حَرَجًا) أي بدأ بالضيق ثم بالحرج كأنه قال: صيقاً أشد ضيقاً ممكن، قال: (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) أي كأنما يتكلف أمراً لا يطيقه، الإنسان لا يطيق أن يصعد في السماء، يطيق أن ينزل إلى الأرض وفق قانون الجاذبية الإنسان إذا نزل عن الشلم ينزل بسهولة، إذا أراد أن يصعد يصعد بصعوبة؛ لأن قانون الجاذبية يجذب الأشياء إلى الأسفل، فإذا خالف القانون وصعد فإنه يجد صعوبة في الصعود، وقال: (يَصَّعَّدُ) ولم يقل: يصعد، (يَصَّعَّدُ) أصلها (يتصعد) ثم قلبت التاء صاداً و أدمت في الصاد الثانية، فأصبحت (يَصَّعَّدُ) للدلالة على أنه صعود يعد صعوداً؛ أي يتكلف الصعود يحاول بمنشقة وكان إنساناً يتسلق الجبل، انظر إلى هذه الصورة (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) فهو غير قادر على قبول الحق كحال إنسان يتكلف شيئاً لا يطيقه، فإذا جلس في مجلس فيه خير، فيه علم يقول لك: ما استطعت إن أجلس يا أخي، هؤلاء يتكلمون في الغيبات، إذا كان يقبل في الهاتف، وبرز له مقطع فيديو يتحدث عن الآخرة يجاوزه لا يريد أن يسمعه، يشعر أن الخير شيء فوق طاقته، (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) فهذا أصله الله على علم، وأصله الله لأنه أراد الضلالة، وهذه الآية فيها إشارة علمية لو أردنا أن نفسرها تفسيراً علمياً إلى أن الإنسان عندما يصعد في السماء فإنه يقل الأكسجين، الأكسجين كلما نزلنا إلى الأرض يكون أكثر، فإذا صعدت في مرحلة معينة ربما تنفجر شرايين الإنسان يصبح في حالة حرج شديد وضيق شديد، يبدأ نفسيته بالتضييق إلى أن يصل إلى مرحلة عالية جداً، فإذا لم يكن هناك تدابير لازمة من الأكسجين كما يفعلون في الطائرات فيصغطون الطائرة بالأكسجين، فإنه يضيق صدره ضيقاً عظيماً حتى يفقد وعيه، ففيها إشارة علمية إلى أن الصعود في السماء عند انخفاض الأكسجين يؤدي إلى اختلال الضغط الجوي مما يؤدي إلى مشكلة الضيق والحرج في الصدر، وهذه لم تكن تُعلم وقت نزول الوحي، وإنما الذي فهمه الصحابة منها ومن بعدهم بأن الإنسان يتكلف شيئاً لا يطيقه عندما يرغب في الصعود، فكيف يصعد فيحمل نفسه شيئاً لا يطيقه، ومع ذلك فإن الله عزَّ وجلَّ- لما ذكر موضوع التاركين للجهاد القاعدين عن الجهاد، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِينُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي ءَاتَيْنَا مِنَ لَدُنَّا مِن لَدُنَّا إِجْرَةً فَمَا
مَتَّعَ لِحَيَاتِهِمُ الَّتِي ءَاتَيْنَا فِي لَدُنَّا إِجْرَةً إِلَّا قَلِيلًا (38)

(سورة التوبة)

فسمي القعود في الأرض تنافلاً، وهو أنه الأيسر على الإنسان أن يجلس في الأرض لأنه هو وفق قانون الجاذبية، ولكنه لما ترك معالي الأمور، لما ترك الخير، ترك كلمة الحق، ترك الجهاد بماله أو بنفسه فهو مُتَأَقِلٌ إلى الأرض يريد الحياة الدنيا ولا يريد الحياة العليا، قال: (كَذَلِكَ) أي كحال هذا الذي يصعد في السماء (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلرَّحْسَنِ) أي العذاب (عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) بالله تعالى، (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلرَّحْسَنِ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) أي كما أنه أضلهم وحبب عنهم الحق عندما رفضوا الحق فأصبحوا لا يطبقونه فهذا السبب يستحقون العذاب من الله تعالى، واستحقاقهم للعذاب هنا دليل واضح على أنهم هم من أعرضوا عن الحق، وأن الله أضلهم تجسيدا لرغبتهم التي أرادوها وهي الضلال، (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلرَّحْسَنِ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) ثم يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۖ قَدْ فَضَّلْنَا لَدُنَّا لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126)



الصراط هو الطريق السوي

أي إذا أردت أن تكون ممن شرح الله صدره للإسلام فاسلك الصراط المستقيم حتى يشرح الله صدرك للإسلام (وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) هذا يعني واضح، أي أنه واضح لا لبس فيه ولا غموض، والصراط هو الطريق السوي لكن مع استوائه أي إمكانية السير فيه قد يكون معوجاً، أما الصراط المستقيم فهو لا اعوجاج فيه، والمستقيم هو أقصر طريق بين بداية ونهاية، رياضياً المستقيم أقصر طريق بين بداية ونهاية، (وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) أي يصل بك بأسرع ما تتصور إلى الحق، (قَدْ فَضَّلْنَا لَدُنَّا) أي قد وضعناها وبينها بشكل لا لبس فيه ولا غموض، (قَدْ فَضَّلْنَا لَدُنَّا) يسواء الآيات القرآنية، أو الآيات الكونية التي تدل على وجود الله، أو آيات الأفعال التي تدل على وجود الله من خلال أفعاله العظيمة في الكون، (قَدْ فَضَّلْنَا لَدُنَّا لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) والتذكير يدل على أن الإنسان عنده شيء مركز في داخله فيذكره؛ بمعنى أنه يتذكر الفطرة التي فطر عليها، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَهُمْ دَارٌ لِّلسَّلَامِ ۖ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127)

هذه جملة اسمية (لَهُمْ دَارٌ لِّلسَّلَامِ) أصلها دار السلام لهم؛ دار: مبتدأ، ولهم شبه جملة: خبر، السلام: مضاف إليه أضيف إلى الدار، (دار السلام لهم) هذا أصل الجملة، ثم جاء الخبر قبل المبتدأ فقال -جل جلاله-: (لَهُمْ دَارٌ لِّلسَّلَامِ) وهذا إشارة إلى أن دار السلام لا يستحقه إلا المؤمنون، فالتقديم والتأخير يفيد التخصيص والحصص والقصر (لَهُمْ دَارٌ لِّلسَّلَامِ) كأنه قال: دار السلام لهم وحدهم، وهذا من بلاغة اللغة العربية الاختصار، لا داعي لأن نقول: دار السلام لهم وحدهم دون غيرهم، (لَهُمْ دَارٌ لِّلسَّلَامِ) إذا وحدهم دون غيرهم، أما دار السلام لهم أي ولغيرهم إن لم تنص على خلاف ذلك، كما مر معنا قبل الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ۖ لَأَمْنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ (82)

(سورة الأنعام)



كلمة الدار أوسع من البيت

أي لهم وحدهم دون غيرهم، فهذا التقديم والتأخير يفيد الحصر والقصر والتخصيص (لَهُمْ دَارٌ ۖ لِلسَّلَامِ)، وهذه الدار أوسع من البيت، البيت يبيت فيه الإنسان فيسمى بيتاً، أما الدار فيها حياته ومبته، يقول: هذه داري أي نشأت بها، تربيت بها، أعمل بها، أجلس مع أهلي بها وأبيت بها، فكلمة الدار أوسع من البيت وإن كان كل منهما يدل على الآخر، وهذه الدار دار سلام بمعنى أنهم يسلمون فيها على أنفسهم من كل مكروه، وهي دار الجنة، والله تعالى هو السلام، ومن أسمائه السلام، وأضاف السلام إلى هذه الدار ليدل على أنها دار لا نكد فيها ولا صخب، في الدنيا مهما كانت الظروف مهياة للسلام في بيتك؛ المأكل، المشرب، الملابس، الزوجة، الأولاد، لكن شعور السلام الكامل مستحيل في الدنيا، يكفي أن هذه الدار قد تفارقك وقد تفارقها، لا يوجد إنسان في الأرض يستطيع أن يقول: هذه الدار لي إلى ما لا نهاية، إما أن تفارقك-نسال الله السلامة- إن لم تفارقك ببيع أو شراء فإنها تفارق اليوم بعض الناس- نسال الله لهم الحفظ -بقصف، بزلزال، فهذه ليست دار سلام، لا يسلم الإنسان فيها على نفسه مهما أعدّ فيها، باهتزاز بالأرض تصيح الآلاف المؤلفة من الأبنية قاعاً صصفاً لا تجد فيها شيئاً، فهي ليست دار سلام في الدنيا مهما أعددت فيها من وسائل السلام، أما دار الآخرة سلام تسلم فيها لا أحد يطرق بابك ليبرجعك بشأن بيع أو شراء الدار، ولا الضرائب، ولا زلزال، ولا قصف، ولا شيء، هذه دار السلام عند الله وهي الجنة، (لَهُمْ دَارٌ ۖ لِلسَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ) هذه العندية إذا أحدهم قال: لك عندي مكافأة، فانت تنظر في هذه الكلمة (عند)، عند من؟ عند من يقول، من هذا الذي تقول؟ إذا قال لك: عند الملك، غير أن يقول لك: عندي، فكلما عظم شأن ما بعد (عند) كان ما فيها أعظم، فكيف إذا قال لهم: دار الإسلام عند ربهم، الرب الذي يُمدّ ويُعطي، يمدهم بهذه الدار (وَهُوَ وَلِيُّهُمْ) وهو -جلّ جلاله- ناصرهم ومؤيدهم، الولي هو من ينصرك ويؤيدك ويعينك، (يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي بسبب أعمالهم الصالحة في الدنيا استحقوا هذه الولاية من ربهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا بُعْثِرَ ۖ لِحْنٍ ۖ قَدْ ۖ سَتَّكَرْتُمْ مِّنَ ۖ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ ۖ الْإِنسِ رَبَّنَا ۖ سَمِعْتَنَا بَعْضُنَا يَبْغِي ۖ وَيَتَلَعْنَا ۖ أَحْلَتْنَا ۖ لَٰذِي ۖ أَحْلَتْنَا ۖ لَنَا ۖ قَالَ ۖ لِنَارٍ ۖ مِّنْؤُنْكُم ۖ خَلِيدِينَ ۖ فِيهَا ۖ إِلَّا مَا شَاءَ ۖ اللَّهُ ۖ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128)



المعشر هم الأشخاص الذين يعاشرهم بعضهم

(ويوم يحشرونهم) واذكر أنها الرسول لقومك يوم الحشر: يوم يجمع الله تعالى ويحشر الخلائق كلها، يحشر الإنس ويحشر الجن، ثم يخاطب الجن ما الذي يحصل يوم يحشرونهم، هذه طرف (يوم) تحتاج إلى شيء مطروف يقع به الطرف، ما هو؟ هو يقول لهم بهذا المعنى يقول الله تعالى: (يُبْعَثِرُ ۖ لِحْنٍ) والمعشر هم الأشخاص الذين يعاشرهم بعضهم وقد يتفقون في شيء معين فيسمون معشراً، كان يقال: يا معشر التجار، أو يا معشر الوزراء، وقد تكون أمة مختلطة فيها من فيها لكن يجمعهم شيء معين فيقال: يا معشر السوربيين؛ فالعشرة هي الاختلاط. (يُبْعَثِرُ ۖ لِحْنٍ) اشتروا في أنهم غابوا، الجن من العباب، جن الليل غاب اختفى، الجن اختفوا عن أعين الناس فسموا جنّاً (يُبْعَثِرُ ۖ لِحْنٍ ۖ قَدْ ۖ سَتَّكَرْتُمْ مِّنَ ۖ الْإِنسِ) طبعاً هنا معشر الجن المقصود به مرده الجن شياطين الجن، وليس الجن المؤمنين بدليل (قَدْ ۖ سَتَّكَرْتُمْ مِّنَ ۖ الْإِنسِ) بالإصلا، أي بالعامية أخذتم راحتكم من الإنس ماذا كان جوابهم؟ قالوا: (رَبَّنَا ۖ سَمِعْتَنَا بَعْضُنَا يَبْغِي ۖ وَيَتَلَعْنَا ۖ أَحْلَتْنَا ۖ لَٰذِي ۖ أَحْلَتْنَا ۖ لَنَا ۖ قَالَ ۖ لِنَارٍ ۖ مِّنْؤُنْكُم ۖ خَلِيدِينَ ۖ فِيهَا ۖ إِلَّا مَا شَاءَ ۖ اللَّهُ) الجن بالإنس والانس بالجن، الجن يستمعون عندما يجدون كلمتهم نافذة فالشياطين إذا رأى مجموعة كبيرة من الناس في حفلة ما حنة هذا يسره، وإذا رأى الناس يقتل بعضهم بعضا يسره، والانس عندما ضلوا عن الطريق يظنون أنهم استمعوا، هي حقيقة منعة لأن الدنيا متاع، ما يسعدون لكن يستمعون، (رَبَّنَا ۖ سَمِعْتَنَا بَعْضُنَا يَبْغِي ۖ وَيَتَلَعْنَا ۖ أَحْلَتْنَا ۖ لَٰذِي ۖ أَحْلَتْنَا ۖ لَنَا) هو يوم القيامة: الأجل أو الموت، أجل أول وهو الموت لكن دلالة الكلام هنا أن الأجل المقصود به هو يوم القيامة، (وَتَلَعْنَا ۖ أَحْلَتْنَا ۖ لَٰذِي ۖ أَحْلَتْنَا ۖ لَنَا ۖ قَالَ ۖ لِنَارٍ ۖ مِّنْؤُنْكُم ۖ خَلِيدِينَ ۖ فِيهَا) الخلود هو الاستمرار (إِلَّا مَا شَاءَ ۖ اللَّهُ) وهذه (إِلَّا مَا شَاءَ ۖ اللَّهُ) في كتاب الله عندما جي كذا، ما شاء الله!! منؤى راقى، فكيف إذا كان المنؤى هو النار مكان الإقامة، ليس زيارة، ليس سياحة إقامة دائمة (قَالَ ۖ لِنَارٍ ۖ مِّنْؤُنْكُم ۖ خَلِيدِينَ ۖ فِيهَا) الخلود هو الاستمرار (إِلَّا مَا شَاءَ ۖ اللَّهُ) في كتاب الله عندما تأتي حتى مع أصحاب الجنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107)

(سورة هود)



لا يوجد شيء في الكون إلا بمشيئة الله

الجنة والنار (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أشكلت على علماء التفسير، هنا دلالة الكلام أن هؤلاء ما داموا أولياء للجن وغير ذلك فهم مستحقون للخلود الأبدى في النار، فهل يُخرجون منها؟ وأيضاً في الجنة الخلود الأبدى، لماذا جاء (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)؟ الحقيقة هذا لبيان طلاقة القدرة الإلهية؛ أي لا يوجد شيء في الكون إلا بمشيئة الله، فهذا الاستثناء ليس المقصود منه أن يُخرج جزءاً من الكل، أي (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) فيخرجهم، لا، هي كلها خاضعة للمشيئة، فلا تظن أن شيئاً يحصل في الوجود إلا بمشيئة الله، وقال بعضهم: بل هنا (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) هذا من مبعثهم من قبورهم إلى دخولهم النار هذا ليس مكان خلود في النار، قبل الدخول إلى النار من المبعث، الحساب، العرض على الله إلى أن يدخلوا النار هذا الوقت مستثنى من النار؛ هذا (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) والله أعلم، (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) حكيم في تقديره -جلّ جلاله- وتديبره، عليم بعباده وبمن يستحق منهم العذاب والعقاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ نُؤَلِّى لِعِصْيَانٍ لِّلطَّالِمِينَ لِّعَصْيَانِكُمْ ۗ وَإِذَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)

أي وكما ولينا المردة من الجن وسلطانهم على بعض الإنس (وَكَذَلِكَ نُؤَلِّى لِعِصْيَانٍ لِّلطَّالِمِينَ لِّعَصْيَانِكُمْ) أي ليس الأمر مقتصرًا على الجن والإنس؛ أي طالعين فإن كلاً منهما يتولى الآخر (يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أي سبب ما كانوا يكسبونه من المعاصي، فالظالم ولي للظالم يناصره ويؤيده ويحته على الشر، والثاني يفعل ذلك نفسه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بُعِثَرَ لِّجِنَّةٍ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ وَأَيُّى وَنَذَرُوا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا سَهْدًا عَلَتْ أُنْفُسُنَا ۖ وَعَرَّرْنَاهُمْ
لِحَيَاتِهِمْ ۗ لَدُنَّا وَسَهَدُوا عَلَتْ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130)

وقدم هنا الجن على الإنس لأنه خاطبهم قبل آية (بُعِثَرَ لِّجِنَّةٍ وَالْإِنسِ) هو التقديم أيضاً تقديم زمني لأنه قد ثبت أن الجن خُلِقوا قبل الإنس، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارٍ لِّلسَّمُومِ (27)

(سورة الحجر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

(سورة الذاريات)

لكن هنا (يُخَفِّضُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ) التقديم له علاقة أيضاً بالحديث هنا عن الجن وفعالهم مرده الجن الشياطين، (يُخَفِّضُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) هذا استفهام تقريرى ليقرري لهم الحقيقة، (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) والرسول عند جمهور أهل العلم لا يأتون من الجن وإنما الرسل من الإنس، واستدلوا على ذلك بأدلة ليس هنا مجال تفصيلها، فقالوا هنا: (رُسُلٌ مِّنكُمْ) أي من الإنس من أنفسكم من الإنس، وقد يكون مع شخص مئة دينار ومعه شخص آخر فتقول: معكما مئة دينار، والمقصود أن مع واحد منهما مئة دينار، (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) أي من الإنس، والجن رسلهم هم رسل الإنس يسمعون ويبلغون كما حصل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ سَمِعَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الْرُسُلِ قَامًا بِهِ ۖ وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2)

(سورة الجن)



الغرور أن ترى الشيء بأكبر من حجمه إلى آخر الآيات، (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يُخَفِّضُونَ عَلَيْكُمْ الْقِصَصَ) القصة هو تتبع الأثر، (يُخَفِّضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِي) أي من ليدن آدم إلى يوم القيامة يقصون عليكم الآيات التي نزلت من الله تعالى، (وَنُنذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) يخوفونكم يوم القيامة يوم الوقوف بين يدي الله، (قَالُوا سَهَدْنَا عَلَيَّ أَنْفُسِنَا) اليوم ليس يوم كذب، اليوم يوم تنطق الجلود، وتشهد الجلود، وتنطق الأيدي بما كانوا يكسبون، (قَالُوا سَهَدْنَا عَلَيَّ أَنْفُسِنَا ۖ وَعَرَّضْنَاهُمْ لِخَبْرَةِ لُدُنَا) ما الذي دفعهم إلى تناسي اليوم الآخر الذي أنذره إياهم رسلهم؟ أن الحياة الدنيا عزتهم أي أعطوها أكبر من حجمها، ما هو الغرور؟ أن ترى الشيء بأكبر من حجمه فيغرك تقول: والله غرني مظهر هذه الوردة فلما اقتربت منها إذا هي وردة صناعية، والله غرنتي، فالغرور هو أن تظن الشيء على خلاف ما هو عليه لو لم يكن أكبر من حجمه مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَأْتِيهَا لِلْإِنْسَانِ مَا عَرَّكَ يَرْكًا ۖ لَكَرِيمًا (6)

(سورة الانقطار)